

حرفية الكاف الجارة واسميتها بين الرأي النحوي والاستعمال القرآني The Prepositional Kef and its Nominal Nature between Grammatical View and Quranic Usage

د. أحمد حسن عزام*

قسم اللغة العربية، كلية أربد الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية/الأردن
shobash@bau.edu.jo

تاريخ الاستلام: 2020/09/27 تاريخ القبول: 2021/01/21 تاريخ النشر: 2021/01/31

Abstract:

The present research dealt with the issue of the literal kef and its nominal nature in grammatical thinking and Quranic usage. It holds a balance between the viewpoints of grammatical scholars on the one hand, and the scholars of the parsing and interpreters of the Holy Quran on the other hand. The findings disclosed dissimilarity in the positions of both parties. The grammarians agreed on its occurrence as a letter and a noun in prose by setting conditions for its literalness that distinguished it from its nominal nature. However, in poetry, they agreed on its literalness but disagreed on its nominal nature. Ibn Mudhaa considered the prepositional Kef as a noun for both prose and poetry. His view corresponds with that of the parsing and interpreters who unveiled evidence from the Holy Quran and disagreed with the grammarians

Keywords: Prepositional kef, literal kef, nominal kef.

ملخص البحث:

تناول هذا البحث مسألة حرفية الكاف واسميتها في التفكير النحوي والاستعمال القرآني، بعقده موازنة بين آراء علماء النحو فيها من جهة، وعلماء إعراب القرآن الكريم وتفسيره من جهة أخرى، وأظهر تباينا واضحا في مواقف الطرفين، فالنحويون اتفقوا على مجيئها حرفا واسماً في النثر، مع وضعهم شروطاً لحرفيتها تمتاز بها عن اسميتها، أما في النظم فاتفقوا على حرفيتها واختلفوا في اسميتها. وتفرّد ابن مضاء من بينهم بعدّه الكاف الجارة اسماً لا غير في النثر والنظم، وتوافق رأيه مع رأي المعربين والمفسرين، الذين خرجوا على رأي النحويين، باتجاههم إلى اسميتها وإعرابها إعراب الاسم؛ بما عرضوا له من شواهد القرآنية.

الكلمات المفتاحية: الكاف الجارة، حرفية الكاف، اسمية الكاف.

يرى سيبويه (ت180هـ) أنّ الكاف الجارة تعي للتشبيه⁽¹⁾، وهي حرف لا غير، يقول: (واعلم أنّه لا يكون اسم مظهر على حرف أبدأ؛ لأنّ المظهر يُسكتُ عنده، وليس قبله شيء ولا يلحق به شيء، ولا يوصل إلى ذلك بحرف)⁽²⁾. فعلة حرفية الكاف الجارة عنده أنّ الاسم لا يأتي على حرف غير متصل بما قبله أو بعده، ولا يجوز السكوت على الحرف كما جاز ذلك في الاسم.

غير أنّ سيبويه لاحظ ورود الكاف الجارة اسماً في الشعر، فجعل ذلك من باب الضرورة، فقال: (إلا أنّ ناساً من العرب إذا اضطروا في الشعر جعلوها بمنزلة مثل)⁽³⁾ ومثّل على ذلك بقول الراجز حُميد الأرقط:

فَصَيُّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ⁽⁴⁾

وقول خِطام المجاشعي:

وصاليات ككما يُؤثِّفُ⁽⁵⁾

فأضاف في الأول (مثل) إلى (الكاف)، لأنّ (الكاف) جاءت بمعنى (مثل)، وفي الثاني أدخل الكاف على الكاف، فالثانية جاءت بمعنى (مثل) فجُرّت بالكاف الأولى.

والكاف الجارة عند المبرّد (ت85هـ) زائدة⁽⁶⁾ للتشبيه، وهي عنده بمعنى (مثل)، يقول: (وأما الكاف الزائدة فمعناها التشبيه، نحو عبد الله كزيد، وإنما معناه: مثل زيد. وما أنت كخالد، فلذلك إذا اضطّر الشاعر جعلها بمنزلة مثل وأدخل عليها الحروف)⁽⁷⁾. وتوسع المبرّد قليلاً عما ذكره سيبويه، فهي عنده تقع فاعلة، ومفعولة⁽⁸⁾، فوقع فاعلة في قول الأعشى⁽⁹⁾:

أنتهون ولن ينهى ذوي شططٍ

الطعن يذهب فيه الزيت

والقتلُ

فالكاف بمعنى (مثل) فاعلة للفعل (ينهى).

وجاءت مفعولة في قول الأخطل⁽¹⁰⁾:

في العربية تدور بعض حروف المعاني بين الحرفية والفعلية، أو بين الحرفية والاسمية، أو بين الحرفية والاسمية والفعلية. ومن بين هذه الحروف (الكاف الجارة)، التي أخذت حيّزا واسعا في التفكير النحوي موازنة مع شقيقاتها من حروف المعاني عامة، وحروف الجرّ خاصة.

وقد وجدت هذه الكاف جديرة بالبحث، ليس على مستوى الدراسات النحوية فحسب، بل وفي مجال الدراسات القرآنية كذلك.

قسّم النحويون الكاف الجارة بعدة اعتبارات منها: بالنظر إلى بنيتها، أو إلى مجرورها، أو اختصاصها بالجرّ، أو أصلها وزيادتها، أو أنواعها، أو بالنظر إلى حرفيتها أو خروجها على الحرفية.

فقد أدرج النحويون هذه الكاف في باب الحروف غير الخالصة في الحرفية، وأتبعوها لقسم الحروف التي تدور بين الحرفية والاسمية. وهذا القسم هو الذي يعنينا أكثر من غيره في هذا البحث الذي سيرتكز على عقد موازنة بين آراء النحويين في حرفية الكاف واسميتها، على مدى الأطوار التاريخية للنحو العربي، وبيان ذلك من خلال كتب النحو، قديمها وحديثها، وبين آراء المعربين والمفسرين في حرفية الكاف واسميتها في الاستعمال القرآني، ومن خلال كتب إعراب القرآن الكريم وتفسيره.

واقترضت طبيعة البحث توزيعه على مطلبين وخاتمة، المطلب الأول: الكاف الجارة واسميتها في التفكير النحوي. والمطلب الثاني: حرفية الكاف الجارة واسميتها في الاستعمال القرآني، أما الخاتمة فقد أودعتها أهم نتائج البحث.

أقدّم هذا الجهد المتواضع، فإن أصبت فبتوفيق من الله، وإن أخطأت فتقصير نفسي.

المطلب الأول- حرفية الكاف واسميتها في التفكير النحوي:

قليلٌ غرار النوم حتى تقلَّصوا

على كالقطا الجنوبي أفزعها

الزجرُ

فالكاف مفعولة للفعل (تقلص)، والمعنى: تقلصوا مثل القطا على الجنوبي.

نلاحظ أنَّ المبرّد هنا لم يحكم بحرفية (الكاف)، بل جعلها بمعنى (مثل)، في النثر والشعر، وربما هذا ما جعل ابن السراج (316هـ) ينسب اسمية الكاف إلى المبرّد فهو يقول (وقال (أي المبرّد): الكاف معناها معنى مثل)⁽¹¹⁾، ويعلّق ابن السراج على قول المبرّد بقوله: (فبذلك حكم أنها اسم، لأنّ الأسماء إنما عرفت بمعانها وأنت إذا قلت: زيد كعمرو أو زيد مثل عمرو، فالمعنى واحد في باب المعنى)⁽¹²⁾. ويورد ابن السراج دليلاً لفظياً آخر على اسمية الكاف بقوله (وأما اللفظ فقد قيل في الكلام والأشعار ما يوجب لها أنها اسم)⁽¹³⁾ ويستشهد يقول الأعشى السابق، فالكاف جاءت فاعلة في (كالطعن)⁽¹⁴⁾.

وكان ابن السراج قد أسند القول بحرفية الكاف إلى سيبويه والبصريين، وذكر استدلالهم بكون الكاف تأتي زائدة، والأسماء لا تُزاد، وكذلك تأتي الكاف الحرفية صلة للموصول من نحو قولك: جاءني الذي كزيد، ولا يصلح أن تقول: جاءني الذي مثل زيد، إلا أن تقول: الذي هو مثل زيد، ليكون للخبر (مثل) مبتدأ يعود في الصلة إلى الذي⁽¹⁵⁾.

وفي هذا الحذف فقد رأى النحويون جوازه بعد (أي) الموصولة مطلقاً، أما في غيرها فقد اشترطوا طول الصلة، والمقصود بالطول أن يكون للخبر معمول أو أكثر⁽¹⁶⁾، فقد نقل سيبويه عن الخليل قوله أنه سمع عربياً يقول: (ما أنا بالذي قائلٌ لك شيئاً)⁽¹⁷⁾، أي (بالذي هو قائلٌ لك شيئاً)،

لهذا لا يجوز عندهم القول (جاء الذي قائم)، أي (هو قائم).

ولكن يبدو لي جوازية عدّ (الكاف) اسمية، وتقدير الضمير (هو) في جملة (جاءني الذي كزيد) التي أوردتها النحويين، ومثلوا بها لحرفة الكاف، مستنداً في ذلك إلى خمسة أوجه، أولها: استحسان سيبويه عدم طول الصلة بقوله (ألا ترى أنك لو قلت: هذا الذي هو عاقل، كان حسناً)⁽¹⁸⁾. وثانيها: تحقق شرط النحويين في الجملة ذاتها؛ فإذا عددنا (الكاف) بمعنى (مثل) فهي عاملة فيما بعدها الجرّ بالإضافة، ويكون التقديم (جاء الذي هو مثل زيد)، فيتحقق بهذا شرط الإعمال. وثالثها: السماع، فقد قرأ الضحاك وابن أبي عبله والعجاج وقطرب قوله تعالى (إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة...) ⁽¹⁹⁾، برفع (بعوضة)، وعدّ (ما) موصولة بمعنى (الذي)، واتفق المعربون على أنّ (بعوضة) خبر، والتقدير (هو بعوضة)⁽²⁰⁾. وكذلك قرأ يحيى بن يعمر وابن أبي إسحق قوله تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن...) ⁽²¹⁾ برفع (أحسن) وخرّج على أنّه خبر مبتدأ محذوف، أي (هو أحسن)، فجاء الحذف في القراءتين من دون تحقق شرط الإطالة. ورابعها: إنّ حذف المبتدأ جائز في النحو، وخامسها: عدم اشتراط الكوفيين الطول في الصلة لحذف المبتدأ، فحذفه في نحو (مررت بالذي عالم) سائغ على مذهبيهم⁽²²⁾. وما دام هذا الوجه الأخير يمثل رأي الكوفيين؛ فليكن المنطلق إلى بيان مذهبيهم في مسألة حرفية الكاف الجارة واسميتها.

ففي شرحه للقصائد السبع الجاهليات، يُلاحظ عناية أبي بكر الأنباري (ت328هـ) بالكاف الجارة، فأعربها في كثير من الأبيات الشعرية إعراب الاسم، ولم يختصّها بالضرورة الشعرية، فأعربها مفعولاً به في قول امرئ القيس⁽²³⁾:

فأدبرن كالجزع المفصل بينه

بجيدٍ مُعَمِّ في

العشيرة مَخُولٍ

فقال في إعراب الكاف: (والكاف في موضع نصب، والتقدير: فأدبرن مثل الجزع المفصل بينه)⁽²⁴⁾.

وعدها مبتداً مؤخر في قول امرئ القيس⁽²⁵⁾:

حتى تركناهم لدى مَعْرَكٍ

أرجلهم كالخشب السائل

فقال: (والأرجل مرفوعة بالكاف، ومعنى الكاف (مثل) حتى كأنه قال: مثل الخشب)⁽²⁶⁾.

وجاءت منصوبة بليس في قول طرفة بن

العبد⁽²⁷⁾:

ولا تجعلني كامرئ ليس همه

كهبي ولا يغني غنائِي

مشهدي

فقال (وموضع الكاف نصب بليس)⁽²⁸⁾.

ويبدو لي أنّ إعراب أبي بكر الأنباري- وهو ذو

النزعة الكوفية- الكاف الجارة اسماً في هذه الأبيات

وغيرها⁽²⁹⁾، قد بلور الرأي الكوفي في ورود الكاف اسماً

في السعة، نظماً وشعراً، وعلى قلة ما وردنا عن

الكوفيين في هذه المسألة، إلّا أنّ هذا القليل يشير إلى

سلوكهم هذا المنحى.

فهذا الفراء (ت207هـ) يجعل الكاف الجارة

بمعنى (مثل)، وجمع العرب بينهما نحو: زيد كمثلك.

دليل على أنّ معناها واحد، لذلك دخلت (الباء) على

(الكاف) التي بمعنى (مثل)⁽³⁰⁾ في قول الشاعر⁽³¹⁾:

وزعت بك الهراوة أعوجي

إذا ونت الركاب جرى وثابا

وفي المعنى نفسه ينقل أبو

حيان الأندلسي رأي الكسائي بإجازته دخول الباء

على الكاف يقول: (ويجيز الكسائي دخول (الباء) على

الكاف، حكى ليس بذلك)⁽³²⁾.

وأجاز ثعلب (ت291هـ) دخول الكاف على

الضمير (هو)، وجعل هذا الضمير بمعنى (مثل)،

يقول: (أنا كهو، كناية عن زيد، قال: لأنهم أرادوا أن

يأتوا بعد الكاف بثلاثة أحرف يعني (مثل) فوضعوا

(هو) موضعها)⁽³³⁾.

ويورد أبو جعفر النحاس (338هـ) رأي

الكسائي والفراء في أثناء إعرابه للكاف في قوله تعالى:

(أو كالذي مرّ على قرية خاوية على عروشها)⁽³⁴⁾

بقوله: (قال الكسائي والفراء: الكاف في قوله تعالى

(كالذي) عطف على معنى الكلام، أي: رأيت كالذي

حاج إبراهيم أو كالذي مرّ على قرية)⁽³⁵⁾. فهما قد عدا

الكاف اسمية بمعنى (مثل) بدليل عطفها على المعنى،

وهما بذلك يتوافقان مع ثعلب وأبي بكر الأنباري في

مجيء الكاف الجارة اسمية بمعنى (مثل) وإعرابها

إعراب الاسم. ونخلص إلى أنّ المذهب الكوفي يُجيز

مجيء الكاف الجارة اسماً في النظم والنثر.

ونتابع آراء النحويين فيظهر لنا الخلاف بين

أبي علي الفارس (ت382هـ) وبين تلميذه ابن جني

(ت392هـ) في حرفية الكاف واسميتها، فالثاني منهما

يرى مجيء الكاف الجارة اسماً وحرفاً في النثر

والشعر، ففي النثر كقولك: زيد كعمرو، وكزيد

جاءني، فالكاف هنا بمعنى (مثل)، وهي في الجملة

الأولى في موضع خبر وفي الجملة الثانية في موضع

مبتدأ⁽³⁶⁾. ومما يذكر هنا أن ابن سيده (ت458هـ) قد

أوجب اسميتها في الجملة الثانية، فالكاف عنده اسم

إذا ابتدئ بها⁽³⁷⁾.

ويعضد ابن جني رأيه بالسماع، فيستشهد

بأبيات جاءت فيها الكاف الجارة اسماً، منها قول

الأعشى:

هل تنتهون ولن ينهى ذوي شطط

كالطعن يذهب فيه الزيت

والقتل

وقال: (فالكاف هنا في موضع اسم مرفوع)⁽³⁸⁾.

ومنها⁽³⁹⁾ قول الشاعر⁽⁴⁰⁾:

على كالخفيف السَّحَق يدعو به الصَّدى

له قلبٌ عُمَى

الجِيَاضِ أجُونُ

في (كالخفيف) اسمٌ بدليل دخول حرف الجر عليها⁽⁴¹⁾.

وبعد ذكره لهذه الشواهد يردّ ابن جني قول

من ادّعى باختصاص الكاف الجارة الاسمية

بالضرورة الشعرية فيقول: (فهذا ونحوه يشهد بكون

الكاف اسماً، فلننا نزل عن الظاهر، ونخالف

الشائع المطرّد، إلى ضرورة واستقباح، إلا بأمرٍ يدعو

إلى ذلك، ولا ضرورة هنا، فنحن على ما يجب

من لزوم الظاهر، ومخالفتنا معتقد لما لا قياس

بعضه، ولا سماع يؤيده)⁽⁴²⁾.

وأنهى ابن جني حديثه في الكاف بقوله (فقد

صح بما قدمنا أنّ كاف الجر قد تكون مرة اسماً،

ومرة حرفاً، فإذا رأيتها في موضع تصلح فيه أن تكون

اسماً وأن تكون حرفاً فجوّز فيها الأمرين)⁽⁴³⁾.

أما أبو علي الفارسي فإنه يحصر اسمية

الكاف الجارة بالشعر دون النثر⁽⁴⁴⁾، على الرغم من

إعرابه الكاف الجارة اسماً في غير موضع في القرآن

الكريم⁽⁴⁵⁾. وحتى في مجال الشعر فإنّ حديثه في

المسألة يشعرك بارتباك رأيه فانظر إليه وهو يقول

(وهذا يجيء في الشعر فيما علمنا)⁽⁴⁶⁾ فجملة (فيما

علمنا) لا تحمل معنى الجزم في الأمر بل التردد فيه،

ويدلّك على هذا كذلك استدلاله بقول الأعشى (هل

تنتهون...) السابق الذكر، فهو بعد تقديره الكاف

بمعنى (مثل)، وإعرابها فاعلة، يرى صحة مجيئها

حرف جر، ولا يُخطئ من يقول بذلك، وعلى تقدير:

ولن ينهى ذوي شطط شيء كالطعن، فحذف

الموصوف، وأقام الصفة مقامه⁽⁴⁷⁾.

وقد أنكر ابن جني قول الفارسي، ورأى أن

حذف الموصوف وإقامة الصلة مقامه قبيح، وهو في

بيت الأعشى أقبح⁽⁴⁸⁾.

وفي مقابل هذا فهما يتفقان على حرفية

الكاف الأولى من قول خطام المجاشعي:

وصاليات ككما يؤثفن

وكذلك إذا وقعت صدرا بعد موصول نحو: جاء الذي

كزيد⁽⁴⁹⁾. وبهذا فابن جني يحكم باسمية الكاف في

الاختيار نثراً ونظماً، على حين يختصها الفارسي

بالضرورة الشعرية، ورأي الفارسي يتناقض مع قول

مَنْ نسبوا إليه الحكم باسمية الكاف الجارة في

الاختيار⁽⁵⁰⁾، إذ لم أطلع على رأي آخر للفارسي يؤيد

قولهم.

والكاف الجارة عند أبي البركات الأنباري

(ت577هـ) تكون اسماً كما تكون حرفاً، وتقدر بـ

(مثل) إن كانت اسماً، وعندئذ تأتي فاعلة، وتدخل

عليها حروف الجر، كقول العجاج بن روبة⁽⁵¹⁾:

يضحكن مَنْ كالبرد المُنْهَم

فجرت الكاف بـ (عن)، لأنها اسم بمعنى مثل⁽⁵²⁾.

ويذكر بعض النحويين أن أبا جعفر بن

مضاء (ت595هـ) قد عدّ الكاف الجارة اسماً لا غير،

ونقلوا عنه قوله: (هي اسم أبداً بمعنى مثل، وما هو

بمعنى اسم فهو اسم)⁽⁵³⁾.

ويحصر الجزولي (ت607هـ) حرفية الكاف في

موضعين: إذا كانت صلة أو زائدة، وما عدا ذلك فهي

عنده اسم يقول: (وكذلك كاف التشبيه، والأغلب

الأجود ألا تكون كاف التشبيه في صلة الموصول خلا

حرفاً، وإن كانت زائدة لم تكن إلا حرفاً، ثم هي بعد

اسم بمعنى مثل)⁽⁵⁴⁾.

ويؤكد ابن الحاجب (ت646هـ) اسمية الكاف الجارة في الاختيار، والاسمية عنده بمعنى (مثل)، أما الجارة فللتشبيه، يقول (وأما الكاف الاسمية فمعناها (المثل) بخلاف الحرفية فإن معناها التشبيه الحاصل في لفظ آخر)⁽⁵⁶⁾.

وفي شرحه للكافية فإن الكاف عند الرضيّ الاستراباذي (ت688هـ) للتشبيه، ويستدل على حرفيتها بوقوعها صلة في نحو: جاءني الذي كزید. وتتعين اسميتها عنده إذا انجرت، أو جاءت فاعلة كقول الشاعر السابق (هل تهون...)، أو مبتدأ نحو كذا عندي درهما⁽⁵⁷⁾. فالكاف الجارة عنده تأتي اسماً في السعة نثراً ونظماً، وليست مقصورة على الشعر فقط.

وفي الكاف الجارة يقول ابن مالك (ت672هـ) في ألفيته⁽⁵⁸⁾:

شَبَّهَ بكافٍ وبها التعليل قد

يُعْنَى وزائداً لتوكيد ورد

واستعمل اسماً وكذا عن وعلى

من أجل ذا عليهما

من دخل

ويورد ابن مالك معاني الكاف الحرفية، فهي للتشبيه، والتعليل، وبمعنى (على)، وزائدة مؤكدة⁽⁵⁹⁾.

وفي الكاف الاسمية فقد توسع في ذكر شواهدا، فتأتي مجرورة، نحو قول الشاعر⁽⁶⁰⁾:

بكاللّوة الشّغواء جُلْتُ فلم أكن

لأولع إلا بالكميّ المقنّع

ومجرورة بالإضافة، في قول الشاعر⁽⁶¹⁾:

تَيَّم القلب حبُّ كالبدر لا بل

فاق حسناً من تيم

القلب حبّاً

وتقع فاعلة كقول الشاعر⁽⁶²⁾:

وما هناك إلى أرضٍ كعالمها

ولا أعانك في غُرمٍ كغُرام

وتقع اسماً لكان كقول جميل بثينة⁽⁶³⁾:

لو كان في قلبي كقدر قلامه

فضلاً لغيرك ما أتتك

رسائي

ومبتدأ كقول الشاعر⁽⁶⁴⁾:

بنا كالجوى مما يخاف وقد نرى

شفاء القلوب

الصاديات الحوائم

ويرى ابن مالك أن الكاف الجارة إذا وقعت

صلة فحرفيتها أولى⁽⁶⁵⁾. وبهذا يظهر أن ابن مالك يرجّح اسمية الكاف الجارة، إلا إذا وقعت صلة.

وبخلاف ما ذهب إليه ابن مالك في هذا

الترجيح، نرى المرادي (ت749هـ) يميل إلى حرفيتها،

مع اعترافه باسميتها في مواضع، ويستدل على

حرفيتها بأنها على حرف واحد، وتأتي زائدة، وتقع مع

مجرورها صلة. وكل ذلك لا يكون في الأسماء⁽⁶⁶⁾.

وفي هذا الميل نجده يذكر أحوالاً ثلاثة لكاف

التشبيه عند بعض النحاة، الأول منها تتعين فيه

الحرفية إذا وقعت زائدة، والثاني تتعين فيها

الاسمية، وذلك إذا وقعت مجرورة، أو مضافاً إليه،

أو فاعلاً، أو مبتدأ، أو اسم كان. لكنه هنا يُظهر ميله

لحرفيتها، فبعد تمثيله ببيت شعر لكلٍ من هذه

المواقع الإعرابية للكاف يقول: (واعلم أن منهم من

تأول هذا كله على حذف الموصوف وإقامة الصفة

التي هي الجار والمجرور مقامه)⁽⁶⁷⁾. أما الثالث في

أحوال الكاف فهو جواز حرفيتها، واسميتها، وهو ما

عدا ذكر⁽⁶⁸⁾.

ونثراً، إذا سُبقت بحرف جر، أو أُسند إليها، أو إذا عاد عليها ضمير⁽⁷³⁾.

وأخيراً فإنَّ الكاف عند السامرائي تفيد التشبيه، أما ما ذكر لها من معانٍ أخرى فترجع في حقيقتها إلى التشبيه. وتأتي الكاف عنده اسماً بمعنى (مثل) إذا كانت فاعلة أو مجرورة⁽⁷⁴⁾.

يتبين لنا مما سبق أنَّ تطورا حصل على الكاف الحارة بما يخص حرفيتها واسميتها، ويظهر ذلك في أوجه منها: خروج جَلِّ النحويين على رأي سيبويه، في خصّه اسمية الكاف بالضرورة الشعرية، فأقروا بمجيئها اسماً في سعة الكلام، نثراً أو نظماً، ودليلهم كثرة ورودها في الشواهد الشعرية، هذه الكثرة التي لا يجوز معها أن يقال: إنَّ سبيل ذلك ضرورة شعرية، بل ذهب ابن مضاء إلى أبعد من ذلك فعدها اسماً لا غير في النثر والنظم.

ومن التطور حصر بعض النحويين مواضع مجيء الكاف حرفاً، وذلك بمجيئها صدر صلة، أو زائدة للتوكيد، أو أن تأتي بمعنى التعليل، في حين أنكر بعض المتأخرين من النحاة القدامى مجيء الكاف الجارة اسماً في النثر.

هذا أمر الكاف عند النحويين، فكيف تعامل معها المعربون والمفسرون؟ هذا ما سيعالجه المطلب الثاني من هذه الدراسة.

المطلب الثاني- حرفية الكاف واسميتها في الاستعمال القرآني:

بلغت شواهد الكاف الجارة في القرآن الكريم اثنتين وسبعين ومئتي شاهد، تناولها المعربون والمفسرون من جوانب متعددة، فأبانوا عن أصالتها وزيادتها، وأوجه دلالاتها أصالة وتوسعا، وحرفيتها واسميتها، وتعلقها وعدمه، ووجوب إعرابها.

وفي معاني الكاف الجارة فيقتصرها المرادي على التشبيه، أما ما أورده النحاة لها من معنى التعليل أو على ف (تأويل ذلك ورده إلى معنى التشبيه أولى من ادعاء معنى لم يثبت)⁽⁶⁹⁾.

ولم يصف ابن هشام (ت761هـ) شيئاً عما قاله المرادي، غير أنَّه أضاف للكاف معنيين جديدين هما الاستعلاء والمبادرة. وفي اسمية الكاف فقد حصره في الضرورة الشعرية، وأنكر أن تأتي الكاف الجارة اسماً في النثر⁽⁷⁰⁾.

ومثل هذا الإنكار نجده عند السيوطي (ت911هـ)، فالكاف الجارة عنده تأتي حرفاً وكذلك اسماً، وفي اسميتها يذكر أنها تأتي مرادفة لـ (مثل)، ويستشهد بأبيات شعرية جاءت فيها الكاف في مواضع إعرابية مختلفة، ويقول بعد ذلك: (وذلك في الشعر كثير جداً، ولم ترد في النثر فاخص به)⁽⁷¹⁾، فهو يُنكر اسميتها في النثر، ويقرّه في النظم لكثرة الشواهد.

أمّا المحدثون فقد كانت لهم بعض إضافات تنماز عما قال به القدامى، ونذكر منهم عباس حسن، الذي أورد أشهر معاني الكاف، وهي التشبيه، والتعليل، والاستعلاء، والتوكيد. ويرى أن الكاف تخرج عن الحرفية لأسباب موجبة، فتصير اسماً مبنياً بمعنى (مثل)، ولم يقتصر ذلك على الشعر، فقد مثل باستعمال نثري، كقولهم: لن ينفع في منع الإجرام كالعقوبات الرادعة، أي: مثل العقوبات، فالكاف في محل رفع فاعل. ويذكر أنها تأتي أحياناً خبراً ومفعولاً به، وفي موضع جر⁽⁷²⁾.

أما سعيد الأفغاني فيذكر أظهر معاني الكاف، وصحيحة التشبيه، وبمعنى على، والتعليل. والكاف عنده مشتركة بين الحرفية والاسمية، فتكون اسماً إذا رادفت (مثل)، وتأتي اسماً في الاختيار شعراً

الكريمة بحسب رأي النحاس (إن كظلة)، تقدمت الكاف، فخفت (أن)، وارتفعت بالابتداء، وما بعدها خبرٌ عنها.

وفي قوله تعالى (كأنهنّ الياقوت والمرجان)⁽⁸¹⁾، أعرب كذلك النحاس (الكاف) في موضع رفع بالابتداء، والخبر محذوف⁽⁸²⁾.

وفي أحد وجهي إعراب الكاف في قوله تعالى (...كذلك جزاء الكافرين)⁽⁸³⁾، عدّها السمين الحلبي في موضع رفع بالابتداء، و(جزاء الكافرين) خبره⁽⁸⁴⁾.
ثالثا- خبر:

جاءت الكاف الجارة في موضع خبر في أكثر من خمسين موضعا في القرآن الكريم⁽⁸⁵⁾، فالكاف جاءت اسما بمعنى (مثل) عند كثير من المعربين والمفسرين، من ذلك (الكاف) في قوله تعالى (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا)⁽⁸⁶⁾ فالكاف جاءت اسما بمعنى (مثل) عند كثير من المعربين والمفسرين، وهي عندهم خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير (دأبهم مثل دأب آل فرعون)⁽⁸⁷⁾.

ومن ذلك الكاف في قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة...)⁽⁸⁸⁾، فقد أعربها النحاس وغيره⁽⁸⁹⁾ خبرا لـ (هي)، والتقدير (فهي مثل الحجارة).

وفي قوله تعالى (... كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات..)⁽⁹⁰⁾، جاءت الكاف في موضع خبر لمبتدأ محذوف عند النحاس، والتقدير: الأمر مثل ذلك⁽⁹¹⁾.

رابعا- خبر كان وأخواتها:

جاءت الكاف كثيرا في موضع خبر لكان أو إحدى أخواتها في آيات كثيرة⁽⁹²⁾، منها قوله تعالى (... وليس الذكر كالأنثى...)⁽⁹³⁾، فأعرب النحاس الكاف في موضع نصب خبر ليس⁽⁹⁴⁾.

وأعرب العكبري (ت616هـ) الكاف في قوله تعالى (...كذلك كنتم من قبل...)⁽⁹⁵⁾ خبرا لكان وقد

وليست غاية هذا البحث عرض الجوانب الكاملة التي تناولها المعربون والمفسرون لشواهد الكاف في القرآن الكريم. بل اختار منها ما يخدم موضوعه، إذ غايته الكشف عن الاستعمال القرآني للكاف من حيث حرفيتها أو اسميتها، من خلال استقراء آراء المعربين والمفسرين لأوجه إعراب الكاف الجارة، الذي ينبني عليه حكم اسميتها أو حرفيتها. لكن هذا لا يعني تجاهل جوانب أخرى تثير الموضوع وتدعم فكرته.

وقد أدى هذا الاستقراء إلى أنّ الكاف الجارة توزعتها مواقع إعرابية مختلفة، فقد جاءت في موضع:
أولا- رفع فاعل:

جاءت الكاف الجارة في موضع رفع فاعل في آية واحدة في القرآن الكريم بحسب ما أورده بعض المعربون والمفسرون، وذلك في قوله تعالى (...كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار)⁽⁷⁵⁾.

فقد أعرب الزمخشري الكاف في الآية الكريمة في موضع رفع فاعل⁽⁷⁶⁾. ويذكر السمين الحلبي (ت756هـ) أن في فاعل (كبر) ستة أوجه منها أن تكون الكاف في (كذلك) بمعنى (مثل) وعلى هذا يكون المعنى كبر مثل ذلك مقتا).

ثانيا- مبتدأ:

وذلك في قوله تعالى (وإذا نتفنا الجبل كأنه ظلة...)⁽⁷⁸⁾، فقد أعرب أبو جعفر النحاس (ت338هـ) (ظلة) خبرا، و(أنّ) في موضع خفض بالكاف، والكاف في موضع رفع بالابتداء⁽⁷⁹⁾. والنحاس بهذا يأخذ برأي سيبويه والبصريين في مسألة (كأنّ)، فهي مركبة من (الكاف) و(أنّ)، والأصل عندهم في نحو: كأنّ زيدا عمرو: إنّ زيدا كعمرو. ولاهتمامهم بالتشبيه قدّموا الكاف وخفضوا بها (أنّ)⁽⁸⁰⁾. فالتقدير في الآية

تقدم عليها وعلى اسمها⁽⁹⁶⁾، وكذلك جاءت في قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم...) ⁽⁹⁷⁾ في موضع خبر لـ (تكون) ⁽⁹⁸⁾.

خامسا- نصب مفعول به:

أعرب الزمخشري الكاف في قوله تعالى (وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا...) ⁽⁹⁹⁾ مفعولا به لأوحينا⁽¹⁰⁰⁾، وأعرب النحاس الكاف في قوله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا...) ⁽¹⁰¹⁾ مفعولا به ثانٍ للفعل للفعل تجعل ⁽¹⁰²⁾.

وفي مقام إعراب الكاف في موضع نصب مفعول به، لابد لنا من وقفة مع أبي حيان الأندلسي، فهو على الرغم من عدّه الكاف الجارة حرفا، وأنها لا تأتي إلا اسماً في ضرورة شعر⁽¹⁰³⁾، إلا أنّه يعربها إعراب الاسم في قوله تعالى (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) ⁽¹⁰⁴⁾، فالكاف عنده في هذه الآية بمعنى (مثل) وهي في موضع نصب مفعول به للفعل يفعلون⁽¹⁰⁵⁾. وهو يعربها إعراب الاسم كذلك في غير هذا الموضع⁽¹⁰⁶⁾. بل يذهب إلى أكثر من ذلك في قوله تعالى (أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها...) ⁽¹⁰⁷⁾، فهو يعرض لرأي المعربين في الكاف، فمنهم من جعلها في موضع نصب مفعول به، ومنهم من رآها معطوفة على معنى قوله تعالى (...ألم تر إلى الذي حاج...) ⁽¹⁰⁸⁾ في الآية السابقة، ومنهم من جعل الكاف زائدة. لكن أبا حيان يسلك بعد هذا العرض مسلكا غريبا يناقض تشدده والتزامه بحرفية الكاف، فهو يرى أنّ الكاف في الآية في موضع جر معطوفة على الذي، والتقدير: (ألم ترى إلى الذي حاج إبراهيم أو إلى مثل الذي مرّ على قرية) ثم يتابع بقوله معترفا باسمية الكاف (ومجيء الكاف اسما فاعلة، ومبتدأه، ومجرورة بحرف جر، ثابت في لسان العرب)⁽¹⁰⁹⁾، ثم يبين سبب الإشكال الذي وقع به المعربون للكاف في هذه الآية بقوله (وإنما عرض لهم

الإشكال من حيث اعتقاد حرفية الكاف، حملا على مشهور مذهب البصريين والصحيح ما ذهب إليه أبو الحسن الأخفش)⁽¹¹⁰⁾.

وأنت تسأل: أيمن أن يكون صاحب هذا الرأي هو الذي قال في الكاف الجارة (الكاف حرف جرلا خلاف فاعلمه في ذلك)⁽¹¹¹⁾ وهي أي الكاف (تتعلق بالكون المطلق الذي تتعلق سائر الحروف به، خلافا للأخفش)⁽¹¹²⁾، وقوله (الكاف حرف تشبيه تعمل الجر واسميتها مختصة بالشعر)⁽¹¹³⁾.

سادسا- نصب حال:

أعربت الكاف الجارة في موضع نصب حال في آيات كثيرة⁽¹¹⁴⁾، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى (...فتتبرأ منهم كما تبرزؤا منّا...) ⁽¹¹⁵⁾، فالكاف عند النحاس في موضع نصب على الحال⁽¹¹⁶⁾. وفي قوله تعالى (فتذروها كالمعلقة...) ⁽¹¹⁷⁾ الكاف عند العكبري في موضع نصب على الحال⁽¹¹⁸⁾.

سابعا- رفع أو نصب صفة:

ففي الرفع أعربت الكاف في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيام كما كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) ⁽¹¹⁹⁾. في موضع رفع صفة للصيام⁽¹²⁰⁾. وفي قوله تعالى (... كمثل غيث أعجب الكفار نباته) ⁽¹²¹⁾ أعربت الكاف في موضع رفع صفة فيكون المعنى (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم مثل غيث)⁽¹²²⁾.

أمّا النصب فقد جاءت الكاف في قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا...) ⁽¹²³⁾، وفي قوله تعالى (... وكذلك نجزي المحسنين) ⁽¹²⁴⁾، في موضع نصب صفة⁽¹²⁵⁾.

تلك أهم المواقع الإعرابية للكاف الجارة في الاستعمال القرآني، وقد اقتصرنا على أمثلة منها، وقد وردت في مواضع أخرى قليلة، عدّ المعربون

في آيات قرآنية، وتبين لي تركيز عنايتهم من بينها⁽¹³⁴⁾ على قوله تعالى (... ليس كمثله شيء)⁽¹³⁵⁾، فمنهم من عدّ الكاف زائدة للتوكيد، والمعنى (ليس مثله شيء)، ولا يجوز عندهم أن يكون المعنى (ليس مثل مثله شيء) لأنّ ذلك يثبت وجود المثل لله تعالى⁽¹³⁶⁾.

ومنهم من رأى أن (مثل) هي الزائدة، والمعنى (ليس كهو شيء)⁽¹³⁷⁾.

ومنهم من رأى أصالة الكاف في أحد أقواله، وفي قول آخر عدّ (مثل) بمعنى (صفة) مع أصالة الكاف، والمعنى (ليس كصفته شيء)⁽¹³⁸⁾.

ومنهم من منع الزيادة، ورفض أن يكون في كتاب الله شيء لا معنى له، فحكم بأصالة اللفظين؛ إما على معنى (ليس مثل مثله شيء)؛ لأنّ هذا القول يلزم أن لا يكون له مثل؛ لأنّه لو كان له مثل لكان هو مثل مثله⁽¹³⁹⁾. أو من باب المبالغة، ومثلوا له بقول العرب مثلك لا يفعل كذا، يريدون به المخاطب، فكأنهم إذا نفوا الوصف عن مثل الشخص كان نفيا عن الشخص، والعرب تُقيم المثل مقام النفس، فتقول مثلي لا يقال له هذا؛ أي أنا لا يقال لي، لهذا لا فرق عندهم بين (ليس كمثله شيء) و (ليس كالله شيء)⁽¹⁴⁰⁾.

والذي يبدو لي أصالة (الكاف) و (مثل)، والذين حكموا بزيادتها إنما قالوا بذلك تجنباً للتأويل والتقدير، وهذا ما جعل بعضهم يحكم بزيادة (مثل) مع أن زيادة الاسم ليست من مذاهيمهم، هذا من جهة ومن جهة ثانية، فإني أرى أن (مثل) في الآية هي بمعنى (ذات)، وأنّ الكاف جاءت على أصل معناها، وهو التشبيه، فهي في الآية بمعنى (شبيهه)، وليست بمعنى (مثيل)، لوجود فرق بين اللفظتين، فالشبيه يُعنى وجود غير وجه من التشابه، أما (المثيل) فيعني التطابق التام، يقول السيوطي: (المماثلة تستلزم المشابهة وزيادة، والمشابهة لا تستلزم المماثلة، فلا

الكاف فيها اسماً، فأعادوا عليها الضمير في قوله تعالى (... إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه...) ⁽¹²⁶⁾، فعاد الضمير في (فيه) على الكاف في (كهيئة) لأنه اسم بمعنى مثل ⁽¹²⁷⁾.

وعطفوا عليها في قوله تعالى (... فهي كالحجارة أو أشد قسوة...) ⁽¹²⁸⁾، فأشد مرفوع بالعطف على موضع الكاف في قوله كالحجارة لأنّ المعنى (فهي مثل الحجارة أو أشد قسوة) ⁽¹²⁹⁾، وجاءت معطوفة في قوله تعالى (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) ⁽¹³⁰⁾، فالكاف في موضع نصب، معطوفة على ما قبلها، وهو قوله تعالى (... كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) ⁽¹³¹⁾، والمعنى (مثل ذلك الذي قصصنا عليك زين للكافرين عملهم، كذلك جعلنا، أي مثل ذلك جعلنا) ⁽¹³²⁾.

ونتناول مسألة أخيرة، ينبني عليها جزء من الحكم بحرفية الكاف أو اسميتها، وهي تتعلق بمعاني الكاف الجارة في القرآن الكريم، التي أوردتها المعربون والمفسرون.

فالكاف جاءت للتشبيه أصالة، وهي اسم بمعنى (مثل) فيما ذكرنا لها من الأحوال الإعرابية في الآيات القرآنية، وكانت كذلك في آيات أخرى كثيرة، لا يتسع المجال لذكرها، فأحلنا القارئ إلى بعضها في القرآن الكريم، وفي أوجه إعرابها إلى كتب المعربين والمفسرين.

فالتشبيه هو المعنى الرئيس للكاف الجارة، وكما كان اختصار أكثر النحاة على هذا المعنى ⁽¹³³⁾، فقد كان الأمر نفسه عند المعربين والمفسرين، غير أنّ بعضهم قد توسع، ففضلاً عما ذكره النحاة، حملوا الكاف من المعاني ما لا تحتمل، فجاء اضطرابهم واضحاً، وهم يذكرون هذه المعاني كما سنرى.

لقد كان معنى التوكيد (الزيادة) للكاف الأكثر جدلاً من بين المعاني التي أوردتها بعضهم لها

وفي أقوال المعربين والمفسرين التي ساقها أبو حيان، فقد جاءت عند بعضهم من باب الاحتمال أو الإجازة بمعنى (القسم) أو (إذ) أو (على). أما في بقية الوجوه، فقد أُعربت الكاف فيها إعراب الاسم، ودار الخلاف حول الأوجه الإعرابية، وتقدير المحذوف في كل وجه، فهي مبتدأ لخبر محذوف عند جماعة، وخبر لمبتدأ محذوف عند بعضهم، ونعت لمصدر محذوف عند آخرين⁽¹⁴⁶⁾.

وفي تتبعي لأقوال المعربين والمفسرين في الكاف في هذه الآية، فقد عدوا الكاف فيها للتشبيه بمعنى (مثل)، وأعربوها إعراب الاسم، باستثناء أبي عبيدة (ت209هـ) فقد أثبت لها معنى القسم مجازاً⁽¹⁴⁷⁾، لكنهم كانوا بعد إعرابهم للكاف، ينسبون إلى (قوم) القول بمجيء الكاف بمعنى القسم دون غيره⁽¹⁴⁸⁾. وربما قصدوا بـ (قوم) أبا عبيدة، إذ لم أعثر على من أثبت لها هذا المعنى غيره، أما ما نسبته القرطبي إلى الفراء قوله بهذا المعنى، فلم أعثر على قول للفراء كهذا في تفسيره لهذه الآية أو غيرها⁽¹⁴⁹⁾.

وقد أثبت أبو حيان معنى التعليل للكاف وذلك في قوله تعالى: (...كما لم يؤمنوا...)⁽¹⁵⁰⁾، فقد قال: (والكاف في كما للتعليل وهو واضح فيها وإن كان استعمالها فيه قليلاً)⁽¹⁵¹⁾. لكن أبا حيان على الرغم من أنه أثبت هذا المعنى للكاف في هذه الآية والتي سبقتها، إلا أنه لا يتخذ ذلك مذهباً، فهو غير ثابت الرأي في إقرار هذا المعنى، يدلك على هذا استناده إلى مذهب غيره في احتمالية أن تكون الكاف للتعليل، فهي قوله تعالى (...واذكروه كما هداكم...)⁽¹⁵²⁾ يجيز في الكاف أن تكون نعتاً أو حالاً، وبعد ذلك يقول (ويحتمل أن تكون الكاف للتعليل على مذهب من أثبت هذا المعنى للكاف)⁽¹⁵³⁾، فهو يحتمل معنى التعليل لها، وفي مواضع أخرى ذكرها⁽¹⁵⁴⁾، لا على مذهبه كما يفهم من حديثه، بل على من أثبت هذا

يلزم أن يكون شبه الشيء مماثلاً له، وحاصل هذا الفرق أن المماثلة تقتضي المساواة من كل وجه والمشابهة تقتضي الاشتراك في أكثر الوجوه لا كلها⁽¹⁴¹⁾.

وعليه يصبح المعنى (ليس شبيه ذات الله شيء)، وهذا أشد مبالغة من قولنا (ليس مثل ذات الله شيء)، فالآية تنفي حتى مجرد وجود المشابهة، وليس المماثلة.

وبناء عليه يمكننا القول باسمية الكاف، وعدم زيادتها في الآيات التي دار الخلاف فيها حول زيادة الكاف وأصالتها.

وجاءت الكاف الجارة عند بعضهم للتعليل، وفي هذا المعنى عند النحاة قال ابن هشام: (أثبت ذلك قوم ونفاه آخرون، وقيد بعضهم جوازه بأن تكون الكاف مكفوفة)⁽¹⁴²⁾، وكذلك اختلف فيه المفسرون والمعربون، مثلما اختلف النحاة، كما أورد ابن هشام. يثبت الأمر هذه الآيات التي عدّ بعضهم الكاف فيها للتعليل، فخالفهم قوم وذكرها لها غير هذا المعنى، في حين تجاوزها آخرون ولم يوردوا لها أي معنى، حتى من قالوا به، فإنك تجد الاضطراب في أقوالهم، بل تجده عند أكثر من يمثل هذه الفئة، وهو أبو حيان الأندلسي -بحسب استقرائي- فقد بدا الاضطراب عنده واضحاً وهو ينسب هذا المعنى للكاف.

فهي الكاف في قوله تعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق...)⁽¹⁴³⁾ يذكر أبو حيان أن المفسرين والمعربين اضطربوا في الكاف في هذه الآية على خمسة عشر قولاً⁽¹⁴⁴⁾، ولم يستحسن أبو حيان منها غير ما جاءه في حلم منافي بأنها بمعنى التعليل، يقول (ويظهر أن الكاف في هذا التخريج المنامي ليست لمحض التشبيه بل فيها معنى التعليل)⁽¹⁴⁵⁾.

جاءت الكاف الجارة في القرآن الكريم للتشبيه، بمعنى (مثل) أو (شبه) أو (شبيه). وظهر من خلال شواهدا في الاستعمال القرآني أنّ المعربين والمفسرين قد خرجوا على رأي النحويين في مسألة حرفيتها واسميتها وأجمعوا على ذلك، حتى أنّ أبا حيان الأندلسي الذي حصر اسميتها بالضرورة الشعرية، فرض عليه الاستعمال القياسي أن يُخرج الكاف من حرفيتها، ويُلقبها بالاسم في بعض الآيات القرآنية.

فهم قد أثبتوا اسميتها في الاستعمال القرآني بإعرابهم لها إعراب الاسم، وإن وقعت بينهم بعض الخلافات في الموضع الإعرابي للكاف في بعض الآيات، فقد كان مرد ذلك اعتماد بعضهم على آراء النحويين، لاسيما كون بعضهم في الأصل من النحويين. ومن البديهي عدم إنكار ما لعلم النحو من أثر في التوجيه النحوي للآيات الكريمة، وفي جزء من هذا الأثر هو ما دعا المعربون والمفسرون أن ينحو بالكاف الجارة نحو الاسمية؛ يؤنسك في ذلك أنّ النحويين قد أجمعوا على حرفية الكاف إذا وقعت صدر صلة، وهي لم تقع كذلك في القرآن الكريم، مما دَعَم رأي المعربين والمفسرين باسمية الكاف الجارة، لكن نؤكد هنا بوقوع التأثير في جانب دون غيره، فقد رأينا إنكار بعض النحويين مجيء الكاف الجارة اسما في النثر مطلقا، لكن رأيا مخالفا كان للمعربين والمفسرين، بإثباتهم اسميتها في القرآن الكريم.

لذلك فشواهد الكاف الجارة جرت في القرآن الكريم على التشبيه، أمّا ما حُمِل من بعض الآيات على التعليل أو التأكيد اللذين ذكرهما بعض النحويين لمعنى الكاف، ومجيئها حرفا إن كانت كذلك، فقد بينا بعده.

فالكاف الجارة بذلك تكون قد اكتسبت خاصية الاسم، بإشغالها وظيفته عند المعربين

المعنى للكاف، وهو بالتأكيد يقصد مذهب بعض النحويين، لأنّ معنى التعليل لم يقل أحد به من المعربين والمفسرين في هذه الآية، بل أجمعوا على أنها نعتا أو حالا. وأجاز العكبري أن تكون بمعنى (على)⁽¹⁵⁵⁾.

إنّ معنى التوكيد (الزيادة) والتعليل، يعدّان من أهم المعاني التي حظيت بعناية النحويين بعد معنى التشبيه، وما بيناه فيهما يمثل واقعهما عند المعربين والمفسرين، أما فيما ذكره النحويون من معنى المبادرة والاستعلاء، فلم أعثّر على أية شواهد لهما في أقوال المعربين والمفسرين، لكنهم توسعوا في معاني الكاف فذكروا لها ما لم يذكره النحويون. فقد أشرنا إلى بعضها في معالجتنا لمعنى التعليل، إذ احتملوا أو أجازوا أن تأتي بمعنى (إذ، على، القسم)، وكذلك نسب إليها بعضهم معنى (اللام)، ففي قوله تعالى (وكذلك نرى إبراهيم...) ⁽¹⁵⁶⁾، أعرب العكبري الكاف خبرا، ثم قال: (وقيل الكاف بمعنى اللام) ⁽¹⁵⁷⁾. ونسب الفخر الرازي إلى غيره معنى (المجازاة) للكاف، ففي قوله تعالى: (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لو لم يؤمنوا به أول مرة...) ⁽¹⁵⁸⁾، قال: (قال بعضهم الكاف بمعنى المجازاة) ⁽¹⁵⁹⁾.

إنّ توسع المعربين والمفسرين في معاني الكاف الجارة، كان توسعا مبنيا - كما لوحظ - على الاحتمال أو الإجازة أو التأويل أو نسب المعنى إلى قائل به غير معروف، لذلك بدا اضطرابهم في الأمر واضحا. وكان المخلص من هذا كله أن يبقوا الكاف على أصل معناها؛ فتتبع شواهد التشبيه بالكاف في القرآن الكريم، وإمعان النظر إليها يدل على مجيء الكاف للتشبيه لا غير، وما ذكرلها من معان أخرى ترجع في حقيقتها إلى معنى التشبيه.

خاتمة:

- 24- أبو بكر الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال
الجاهليات 94/1
- 25- ديوان امرئ القيس 141/1
- 26- أبو بكر الأنباري، شرح القصائد السبع 9/1
- 27- ديوان طرفة بن العبد 29/1
- 28- أبو بكر الأنباري، شرح القصائد السبع 244/1
- 29- ينظر المزيدي، المصدر نفسه، 134، 139/1، 185، 186،
337
- 30- الفراء، معاني القرآن 85/3
- 31- ابن عصفور، ضرائر الشعر 203
- 32- أبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل 307/4
- 33- ثعلب، مجالس ثعلب 107/1
- 34- البقرة، 259
- 35- النحاس، إعراب القرآن، 279/1
- 36- ابن جني، سر صناعة الإعراب 290/1
- 37- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم 149/7
- 38- ابن جني، سر صناعة الإعراب 173/1
- 39- ينظر شواهد أخرى، المصدر نفسه 287-286/1
- 40- نسب ابن عصفور، البيت في ضرائر الشعر لسلامة
العجلي 302/1
- 41- ابن جني، سر صناعة الإعراب 287/1
- 42- المصدر نفسه 287/1
- 43- المصدر نفسه 289/1
- 44- أبوعلي الفارسي، المسائل المشككة المعروفة
بالبغداديات، ص 154
- 45- أبوعلي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، 287/3،
537/5، 290/6
- 46- أبوعلي الفارسي، المسائل المشككة المعروفة
بالبغداديات، ص 154
- 47- المصدر نفسه، ص 145
- 48- ابن جني، سر صناعة الإعراب 284/1
- 49- المصدر نفسه 281/1
- 50- ينظر مثلاً، أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب
1313/4، أبوعلي الفارسي، المسائل المشككة، ص 156،
المرادي، الجنى الداني، 79، ابن هشام، مغني اللبيب 204/1،
السيوطي، همع الهوامع 365/2
- 51- ديوان العجاج 328/2

والمفسرين، وفقدت خاصية الحرف وابتعدت عنه؛
فالحرف لا يكون فاعلاً ولا مفعولاً ولا مبتدأً ولا غير
ذلك من المواقع الإعرابية.

الإحالات الهوامش:

- 1- سيبويه، الكتاب 216/4
- 2- المصدر نفسه، 218/4
- 3- المصدر نفسه 408/1
- 4- مجموع أشعار العرب، 181
- 5- عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، 313/2
- 6- أراد بالزائدة أي أنها ليست من بنية الكلمة المتصلة بها.
- 7- المبرد، المقتضب 140/4
- 8- المصدر نفسه، 142-141/4
- 9- ديوان الأعشى، ص 55
- 10- ديوان الأخطل، ص 196
- 11- ابن السراج، الأصول في النحو 439/1
- 12- المصدر نفسه، 439/1
- 13- المصدر نفسه، 439/1
- 14- المصدر نفسه، 440/1
- 15- المصدر نفسه، 437/1
- 16- ينظر: سيبويه، الكتاب 404/2، 408، ابن يعيش، شرح
المفصل 391/2
- 17- سيبويه، الكتاب 404/2
- 18- المصدر نفسه 404/2
- 19- البقرة 206
- 20- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 267/1
- 21- المصدر نفسه 256/4
- 22- ينظر: الفراء، معاني القرآن، 22/1، 365، أبو حيان،
البحر المحيط، 167/1
- 23- ديوان امرئ القيس 61/1

- 52- أبو البركات الأنباري، أسرار العربية، ص 233.
- 53- ينظر مثلاً: السيوطي، همع الهوامع، 451/2، المرادي، الجنى الداني، ص 79
- 54- الجزولي، المقدمة الجزولية 131/1
- 55- ابن يعيش، شرح المفصل 504/4
- 56- ابن الحاجب، الكافية في النحو 127/1
- 57- رضي الدين الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية 324/4
- 58- ابن مالك، ألفية ابن مالك، ص 32
- 59- ابن مالك، شرح التسهيل 39-38/3
- 60- بلا نسية في المرادي، الجنى الداني، 82، السيوطي، همع الهوامع 31/2
- 61- بلا نسية في المرادي، الجنى الداني 82، السيوطي، همع الهوامع 31/2
- 62- البيت لعمر بن براقة في: عبد القادر البغدادي، شرح أبيات مغني اللبيب 30/8
- 63- ديوان جميل بثينة، ص 107
- 64- بلا نسية في: الشنقيطي، الدرر اللوامع 160/4، السيوطي، همع الهوامع 31/2
- 65- ابن مالك، شرح التسهيل 140/3
- 66- المراوي، الجنى الداني، ص 78
- 67- المصدر نفسه، ص 83
- 68- المصدر نفسه، ص 83
- 69- المصدر نفسه، ص 85
- 70- ابن هشام، مغني اللبيب 204-199/1
- 71- السيوطي، همع الهوامع 365/2
- 72- عباس حسن، النحو الوافي 517/2
- 73- سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية 332/1
- 74- فاضل السامرائي، معاني النحو 64/3
- 75- غافر، 35
- 76- الزمخشري، الكشف 427/3
- 77- السمين الحلبي، الدر المصون 479/9
- 78- الأعراف، 171
- 79- النحاس، إعراب القرآن 72/2
- 80- ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب 303/1، المرادي، الجنى الداني، ص 568
- 81- الرحمن، 58
- 82- النحاس، إعراب القرآن 212/4
- 83- البقرة، 191
- 84- السمين الحلبي، الدر المصون 308/2
- 85- ينظر مثلاً: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 206/2، 17/9. العكبري، التبيان 57/1، 1169/2. الزمخشري، الكشف 167/1، 427/2، 282/4. السمين الحلبي، الدر المصون 78/2، 147/7، 308، 544.
- 86- آل عمران، 116
- 87- ينظر مثلاً: الزجاج، معاني القرآن 380/1، ابن عطية، المحرر الوجيز 405/1. الزمخشري، الكشف 415/1. السمين الحلبي، الدر المصون 38/3. النحاس، إعراب القرآن 360/1.
- 88- البقرة: 74.
- 89- ينظر: النحاس، إعراب القرآن 61/1. العكبري، التبيان 79/1. ابن عطية، المحرر الوجيز 166/1، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 464/1. الزمخشري، الكشف 55/1
- 90- البقرة، 167
- 91- النحاس، إعراب القرآن 89/1
- 92- منها مثلاً: آل عمران 105، 106. الأنفال 21، 47. التوبة 69. الأحزاب 69. الحديد 16. الحشر 19.
- 93- آل عمران، 36
- 94- النحاس، إعراب القرآن 653/1
- 95- النساء، 94
- 96- العكبري، التبيان 382/1
- 97- الأنفال، 47
- 98- درويش، إعراب القرآن وبيانه 16/4
- 99- الشورى، 7
- 100- الزمخشري، الكشف 461/3
- 101- النور، 63
- 102- النحاس، إعراب القرآن 104/3
- 103- يُنظر: أبو حيان، البحر المحيط 62/1، 102، 423، 474، 435
- 104- الشعراء، 74
- 105- أبو حيان، البحر المحيط 464/8
- 106- ينظر: أبو حيان، البحر المحيط 11/2، 245، 653، 464/8، 139/6
- 107- البقرة، 259
- 108- البقرة، 258

- 109- أبو حيان، البحر المحيط 203/2
 110- المصدر نفسه 203/2
 111- أبو حيان، ارتشاف الضرب 1710/1
 112- المصدر نفسه 1710/1
 113- أبو حيان، البحر المحيط 102/1
 114- ينظر مثلاً: النحاس، إعراب القرآن، 85/1، 89، 94.
 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 312/2. السمين، الدر
 المصون 210/2. الزمخشري، الكشاف 312/2. العكبري،
 التبيان 507-396/1
 115- البقرة، 167
 116- النحاس، إعراب القرآن 79/1
 117- النساء، 129
 118- العكبري، التبيان 396/1
 119- البقرة، 183
 120- مكي، الكشف 80/1
 121- الحديد، 20
 122- الزجاج، معاني القرآن 127/5
 123- البقرة، 143
 124- الأنعام، 84
 125 العكبري، التبيان 510/1، أبو حيان، البحر المحيط
 10/2
 126- آل عمران 49
 127- العكبري، التبيان 263/1
 128- البقرة، 74
 129- القرطبي، الجامع 464/1. الزمخشري، الكشاف 155/1
 130- الأنعام، 123
 131- الأنعام 122
 132- الزجاج، معاني القرآن 288/2
 133- المرادي، الجنى الداني، ص 81
 134- منها: البقرة، 19، 259، 261
 135- الشورى، 11
 136- ممن قال بهذا الرأي: الزجاج، معاني القرآن 390/4.
 الطبري، جامع البيان 510/21. ابن عطية، المحرر الوجيز
 28/5. القرطبي، الجامع 8/16. النحاس، إعراب القرآن
 51/4.
 137- منهم: الأخفش، معاني القرآن 197/1. ثعلب، ينظر:
 القرطبي، الجامع 9/16. الطبري، جامع البيان 57/21.
- 138- منهم: أبو حيان، البحر المحيط 488/8. السمين، الدر
 المصون 546/9.
 139- الرازي، مفاتيح الغيب 397/29.
 140- ينظر: الزمخشري، الكشاف 462/4. أبو حيان، البحر
 المحيط 488/8. السمين، الدر المصون 546/9.
 141- السيوطي، الحاوي للفتاوى 273/2
 142- ابن هشام، المغني 199/1
 143- الأنفال، 5
 144- أبو حيان، البحر المحيط 272/5
 145- المصدر نفسه 275/5
 146- المصدر نفسه 575-572/5
 147- أبو عبيدة، مجاز القرآن 240/1
 148- ينظر مثلاً: مكي، مشكل إعراب القرآن 3/2. العكبري،
 التبيان 616/2
 149- الفراء، معاني القرآن 403/1
 150- الأنعام، 110
 151- أبو حيان، البحر المحيط 618/4
 152- البقرة، 198
 153- أبو حيان، البحر المحيط 161/2
 154- ينظر منها: أبو حيان، البحر المحيط 45/2. 630/2
 155- ينظر مثلاً: النحاس، إعراب القرآن 102/1. الزجاج،
 معاني القرآن 235/1. مكي، مشكل إعراب القرآن 87/1.
 القرطبي، الجامع 281/2. العكبري، التبيان 163/1. السمين،
 الدر المصون 233/2
 156- الأنعام، 75
 157- العكبري، التبيان 57/1
 158- الأنعام، 150
 159- الفخر الرازي، مفاتيح الغيب 116/3.

ثبت المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم
- 2- الأخطل، ديوان الأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت، لا
ط، لا ت.
- 3- الاسترأبادي، رضي الدين، شرح شافية ابن الحاجب مع
شرح شواهد للعالم عبد القادر البغدادي، تحقيق: محمد

- 18- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: د. رجب محمد، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط:1، 1998م.
- 19- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: صديق محمد جميل، دار الفكر- بيروت، ط 1420هـ.
- 20- أبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: د. حسن الهنداوي، دار القلم- دمشق، لا ط، لا ت.
- 21- درويش، محي الدين، إعراب القرآن وبيانه، دارالإرشاد- حمص، ط:4، 1415هـ.
- 22- رؤية بن العجاج، مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤية بن العجاج، وعلى أبيات منسوبة إليه، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر- الكويت، لا ط، لا ت.
- 23- الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده الشلبي، بيروت- عالم الكتب، لا ط، 1988م.
- 24- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن، الجمل في النحو، تحقيق: د. فائز فارس، الكويت، لا ط، لا ت.
- 25- الزمخشري، أبو القاسم جار الله، الكشف عن حقائق التثني وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر- بيروت، لا ط، لا ت.
- 26- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط:3، 1996م.
- 27- السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد الخراط، دار القلم- دمشق، لا ط، لا ت.
- 28- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل- بيروت، ط1، لا ت.
- 29- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط:1، 2000.
- 30- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الحاوي للفتاوى، دار الفكر- بيروت، لا ط، 2004م.
- الحسن ومحمد الزفاف ومحمد محي الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، لا ط، 1975م.
- 4- الأشموني، نور الدين، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين، دار الكتاب العربي، لا ط، 1955م.
- 5- ابن الأنباري، أبو البركات، أسرار العربية، تحقيق: محمد البيطار، مطبعة الترقى- دمشق، لا ط، 1957.
- 6- الأعشى، ديوان الأعشى، تحقيق: محمد حسين، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، لا ط، لا ت.
- 7- الأفغاني، سعيد، الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر- بيروت، ط 2003م.
- 8- امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة- بيروت، ط:2، 2004م.
- 9- الأنباري، أبو بكر، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط:3، 2002م.
- 10- البغدادي، عبد القادر، خزانة الأدب ولب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي- القاهرة، ط:4، 1997م.
- 11- البغدادي، شرح أبيات المغني، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد دقاق، دار المأمون للتراث- بيروت، ط:2، 1393هـ - 1414هـ.
- 12- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى، مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، ط:2، 1960.
- 13- الجزولي، عيسى بن عبد العزيز، المقدمة الجزولية في النحو، تحقيق: شعبان عبد الوهاب، مطبعة أم القرى، لا ط، لا ت.
- 14- ابن جني، أبو الفتح بن عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم- دمشق، ط:2، 1993م.
- 15- ابن الحاجب، عثمان بن عمر، الكافية في النحو، شرحه الشيخ رضي الدين الاستراباذي، دار الكتب العلمية- بيروت، لا ط، لا ت.
- 16- جميل بثينة، ديوان جميل بثينة، دار صادر- بيروت، لا ط، 1982.
- 17- حسن، عباس، النحو الداني، دار المعارف، ط:15، لا ت.

- 31- السيوطي، همع الهوامع في جمع الجوامع، تحقيق: عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية- الكويت، لا ط، 1975م.
- 32- الشنقيطي، أحمد بن الأمين، الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع في العلوم العربية، دار المعرفة- بيروت، ط: 2، 1973م.
- 33- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: 1، 2000م.
- 34- طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: 3، 2002م.
- 35- العجاج، عبد الله بن روبة، ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريش، تحقيق: عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس- دمشق، لا ط، لا ت.
- 36- أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق: محمد شاكر، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة 1381هـ.
- 37- ابن عصفور، علي بن مؤمن، شرح جمل الزجاجي، قدم له: فؤاد الشعار، إشراف: د. إميل يعقوب، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: 1، 1998م.
- 38- ابن عصفور، ضرائر الشعر، تحقيق السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، لا ط، 1980.
- 39- ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1422هـ.
- 40- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، لا ط، لا ت.
- 41- الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاني، دار المأمون للتراث- دمشق وبيروت، ط: 2، 1993م.
- 42- الفارسي، المسائل المشككة المعروفة بالبغداديات، قرأه وعلق عليه: الدكتور يحيى مراد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: 1، 2003م.
- 43- السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والتوزيع- الأردن، ط: 1، 2000م.
- 44- الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط: 3، 1420هـ.
- 45- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب- بيروت، ط: 1، 1955م.
- 46- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط: 2، 1964م.
- 47- ابن مالك، جمال الدين محمد، ألفية ابن مالك في النحو والصرف، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط: 2، 1930م.
- 48- ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، لا ط، لا ت. 1967م.
- 49- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق، عالم الكتب- بيروت، لا ط، لا ت.
- 50- المرادي، الحسن بن القاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: 1، 1992م.
- 51- مكي بن أبي طالب، أبو محمد القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية- دمشق، لا ط، لا ت. 1974م.
- 52- مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم صالح الضامن، منشورات وزارة الإعلام- العراق، لا ط، 1975م.
- 53- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: 1، 1421هـ.
- 54- ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محي الدين، المكتبة العصرية- بيروت، لا ط، 1992م.
- 55- ابن يعيش، موفق الدين يعيش، شرح المفصل، قدّم له: الدكتور إميل يعقوب، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: 1، 2001م.